فنون بلاغية لا تليق بجلال بالقرآن الكريم

م.م محب الدين مروان زرنان
www.almoddrs٩٢@gmail.com
٠٧٨١٠٤٧٩٠٩٢
مديرية تربية محافظة الانبار

المستخلص:

القرآن الكريم هو كتاب معجز في بيانه، وقد ورد فيه من أساليب البلاغة والفصاحة ما يفوق أي كتاب آخر. ولكن، من الممكن أن يُقال إن القرآن لا يحتوي على بعض الفنون البلاغية التقليدية التي قد تكون موجودة في الشعر أو الخطاب البشري، وذلك لأنها لا تتناسب مع قدسية القرآن وهدفه، فالقرآن الكريم لا يتبع بعض الفنون البلاغية البشرية لأنه كتاب معجز، وكل أسلوب فيه له غرض محدد يتناسب مع رسالته السامية وعظمته، كما أنه يتميز ببلاغة لا يمكن محاكاة أساليبها أو الوصول إليها، فهناك أساليب بلاغية قد تُستخدم في الأدب البشري، ولكنها لا تتناسب مع جلال القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: فنون ، البلاغة، جلال القرآن.

المقدمة:

إن اللغة العربية من اكثر اللغات تطورا واوسعها فنونا فقد احتوت اللغة العربية الكثير من الفنون التي لا يمكن ان تحتويها لغة اخرى كما ان القرآن الكريم كان ولا يزال مصدرا رئيسا في الاستشهاد اللغوي ففي عصر نزول القرآن الكريم كانت اللغة العربية قد استوت على سوقها ونضجت بأكمل صورها. ولِقَداسة القرآن الكريم فقد اهتم الباحثون والعلماء قديما وحديثا بفهم لغته ، وهل تنطبق عليه جميع فنون اللغة العربية أم أن لغته فيها خصوص؟ واستعماله يختلف عن استعمال اي متكلم اخر؟ وبين محبٍ للقرآن مدافع عنه ، وبين مبغض له محجوب عن رؤية نوره فقد حاول اللغويون تطبيق نظريات اللغات على القرآن الكريم، وهذا ما نتكلم عنه في هذه المحاضرة وننقل اراء العلماء قديما وحديثا وفهمهم لتلك الفنون . والفنون التي اختلفوا في وجودها في القرآن الكريم.

هي: (**الترادف والتورية والسجع وزيادة الحرف في القرآن الكريم**) ، وبعد البحث عن هذه الفنون وجدت أن اهتمام الباحثين وشغفهم قد احاط بها من كل جوانبها، فاللغويون والمفسرون قديما وحديثا اختلفوا في هذه الفنون فمنهم من نفى وجودها في القرآن الكريم ومنهم من اثبتها ولكل فريق منهم ادلته، والذي يتبين لنا انها أن اغلب الفنون البلاغية التي وردت في القرآن الكريم كان لها استعمال خاص يختلف عن اللغة عموما والله أعلم .

وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع ان يكون على اربعة مطالب، تكلمت في المطلب الاول عن تعريف الترادف وعن الذين اثبتوا وجود الترادف في القرآن من اللغويين وعن الذين انكروا وجوده، واما المطلب الثاني فكان عن التورية والاقوال في وجودها في القرآن الكريم واقوال المانعين، وجاء المطلب

الثالث ليبين السجع وموقف المانعين والمجيزين له، في حين جاء المطلب الرابع عن الزيادة في القرآن الكريم وخلو القرآن منها، ثم خاتمة لما تم التوصل اليه وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

المطلب الاول: الترادف

الترادف، لغةً: التتابع، قال تعالى: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الانفال: ٩] معناه يأتون فرقة بعد فرقة. [١] .

والترادف : " التتابع، وترادف الشيء، تبع بعضه بعضا، ويقال الليل والنهار ردفان؛ لأن كل واحد منهما يردف صاحبه أي يتبع أحدهما الآخر، وترادفت الكلمتان كان بينهما الترادف، فترادف الكلمتين أن تكونا بمعنى واحد، وكذلك بعد عصر الرواية" [٢].

وفي الاصطلاح: "هو توالي الألفاظ المفردة الدالّة على شيءٍ واحد باعتبارٍ واحد" [٣].

عرف الترادف: بأنه تعدد الألفاظ للمعنى الواحد دون أن يرجع هذا الترادف إلى تعدد اللغات ودون أن يكون بين الألفاظ المقول بترادفها قرابة صوتية ، يقول أبو هلال العسكري : " لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد لأن في ذلك تكثيراً للغة بما لا فائدة فيه . إلا أن يجيء ذلك في لغتين فأما في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد " [٤]. ويرى الاصفهاني أن المقبول منه ما كان عن اختلاف لغات القبائل العربية، وذلك ما لا خلاف فيه [٥]. وقد انقسم اللغويون قديما وحديثا في وجود الترادف في القرآن الكريم ونذكر اقوال بعضهم وكما يأتي:

أولا: الذين اثبتوا وجود الترادف في القرآن من اللغويين القدامى، وأدلتهم:

فمن الذين اثبتوا الترادف في القرآن الكريم الأصمعي المتوفي سنة ٢١٥ هـ ، وأبو القاسم البغدادي الهروي المتوفي سنة ٢٢٤ هـ ، وابن السكيت المتوفي سنة ٢٤٤ هـ، وابن خالو يه المتوفي سنة ٣٧٠ هـ وعلي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ الذي ألف كتاب الألفاظ المترادفة ، وعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، في كتابه الألفاظ الكتابية [٦] . والهمذاني عقد

أبواباً كثيرة مستخدماً الألفاظ المتقاربة المعنى الواردة في القرآن الكريم ويسجلها كوحدات ترادفية ، وهو يقول مثلا في: باب **ترادف السَنة**: يقال: السنة والحول والعام والحجة . وفي القرآن العظيم **: ثماني حجج** .

---

(١) سورة الانفال: ٩ .
(٢) لسان العرب، لابن منظور- ١١٤/٩.
(٣) العجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (مادة: ردف).
(٤) التعريفات، للجرجاني: ٧٧
(٥) ينظر: الفروق في اللغة لابي الهلال العسكري ، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٣م/ .١٤، ١٥.
(٦) ينظر : المزهر في علم اللغة وأنوعها ، عبد الرحمن بن ابي بكر ، جلال الدين السيوطي (ت ،٩١١)، تحقيق فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٩٩٨م . ١/ ٤٠٥.

وفيه : **يحلونه عاماً** . وفيه : **حولين كاملين** وفي باب ترادف **الحين والوقت** : » يقال : أطلب الشيء في حينه ووقته وأوانه وزمانه وإبانه [١] .

ويتبين لنا من خلال اقوالهم أن حجتهم لم تكن غير اجتهادهم فلم يحتجوا لقياس او سماع انما احتجوا على ترادف الالفاظ من خلال فهمهم للمعاني، غير ان ما ذهب اليه بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي إلى إثبات الترادف في القرآن الكريم، فقال " مما يبعث على معرفة الإعجاز وضع الألفاظ في كل موضع ما يليق به، وإن كانت مترادفة، حتى لو ابدل واحد منها بالآخر ذهبت تلك الطلاوة ، وفاتت تلك الحلاوة . فمن ذلك قوله : ﴿ **مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ۚ ﴾ [٢] . وفي موضع آخر : ((**فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا**)) [٣] استعمل الجوف في الأول و البطن ، في الثاني مع اتفاقهما في المعنى ، ولو استعمل أحدهما في موضع الآخر لم يكن له من الحسن والقبول عند الذوق ما لاستعمال كل واحد منهما في موضعه" [٤] .

ففي قوله هذا يبين ان الترادف الذي في القرآن ليس كالترادف في اللغة عامة انما هنالك خاصية في مفردات القرآن واستعمال القرآن لتلك المفردات وهذا ما نجده في اغلب التفاسير اللغوية .

ثانيا: الذين انكروا وجود الترادف في القرآن الكريم وأدلتهم .

فأما الذين أنكروا وجود الترادف في القرآن فمنهم **أبو عثمان الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥ هـ** فقد اشتكى في كتابه : البيان والتبيين من أن الناس يستعملون ألفاظاً بغير ما عرفت به دون مراعاة للفروق في استعمالها . ولا يفرقون بين الجوع والسغب، والمطر والغيث، ولا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال [٥]. ولا يخفى على أحد سبب قلق الجاحظ لاستعمال هذه الكلمات في غير مدلولاتها وذلك أن القرآن قد استعملها في مدلولات أخرى .

وكما فطن كثير من الباحثين في إعجاز القرآن إلى أن الإعجاز يتضمن وضع اللفظة في مكانها الخاص بها في النص القرآني ، وعلى سبيل المثال **أبو سليمان الخطابي المتوفي سنة ٣٨٨ هـ** يقول : "ثم اعلم أن هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء به، إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ، كالعلم والمعرفة ، والحمد والشكر ، والبخل والشح ،

---

(١) الالفاظ الكتابية، عبد الرحمن بن حماد ابو عيسى الهمداني ، تحقيق إميل بديع يعقوب .٢٦٢، ٢٦٣، ٢٢٦.
(٢) سورة الأحزاب : الآية ٤ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ٣٥ .
(٤) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهاء الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ(المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م : دار إحياء الكتب العربية ،بيروت، لبنان . ٢/ ١١٨، ١١٩.
(٥) ينظر: البيان والتبين للجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ): دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٤٢٣ هـ ، ١/ ٢٠.

وكالنعت والصفة ، وكقولك : اقعد واجلس ويلى ونعم ، وذلك وذاك ، ومن وعن ، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصفات لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها فضرب الخطابي مثلا بقوله تعالى: ﴿ **فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ**﴾ من سورة يوسف ، يقال : إن الله تعالى لم يقل : **" فافترسه الذئب "** ، لأن الافتراس معناه في فعل السبع القتل حسب ، وأصل الفرس دق العنق . والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلا وأتى على جميع أجزائه وأعضائه ، فلم يترك مفصلا ولا عظماً . وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه ، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة ، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى ، فلم يصح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل ؛ على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع" .[1]

ومن اللذين يرفضون الترادف في القرآن الكريم **أبو هلال العسكري المتوفي سنة ٣٩٥ هـ** ، وقد ذكر الكثير من الالفاظ المتقاربة مستدلا على عدم الترادف بالعطف أي أن الالفاظ جاءت معطوفة والعطف يقضي بالتغاير فكيف تكون مترادفة وقد الف كتابا سماه الفروق في اللغة وفيه يرفض ظاهرة الترادف في القرآن الكريم رفضاً تاماً ويستشهد بمئات من الآيات الكريمة ومن بينها التي يظن فيها الترادف . فالعسكري يحتج بتفسير المبرد لقوله تعالى : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [2] أنه قال : فعطف **شرعة على منهاج** لأن الشرعة لأول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسعه . ويعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر ؛ فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ . لا تقول : « جاءني زيد وأبو عبد الله كان زيد هو أبو عبد الله . **وهذا يدل على أن جميع ما جاء في القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ما ذكرنا من العقل واللب ، والمعرفة والعلم ، والكسب والجرح ، والعمل والفعل ، معطوفاً أحدهما على الآخر فإنما جاز هذا فيهما لما بينهما من الفرق من المعنى ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على أبي عبد الله إذ كان هو** [3] **.**

و من الذين انكروا الترادف في الفاظ القرآن الكريم ابن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦ هـ ، وأبو العباس المبرد المتوفي سنة ٢٨٥ هـ ، وأبو العباس ثعلب المتوفي سنة ٢٩١ هـ ، وأبو علي الفارسي المتوفي سنة ٣٧٧ هـ ، وابن فارس المتوفي سنة ٣٩٥ هـ ، والراغب الأصفهاني المتوفي سنة ٥٠٢ هـ وغيرهم.

ثالثا: موقف اللغويين المحدثين من الترادف في القرآن الكريم .

إن كثيرا من اللغويين المحدثين تأثروا بالمناهج اللغوية غير العربية وقد ذكرت الدكتورة **عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ** الذين يرون بوجود الترادف د.**علي عبد الواحد وافي** الذي نشر في مجلة الثقافة، سنة ١٩٦٣ م،

---

(١) ينظر : بيان اعجاز القرآن للخطابي- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ: المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م/ ٢٩.

(٢) سورة المائدة : ٤٨ .

(٣) ينظر: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف للدكتور حسن محمد باجودة . ١٥٠ – ١٦٦.

مقالاً في مزايا لغتنا العربية، التي انفردت بشرف نزول الوحي فيها، فكان مما عده من مزاياها ، أنها تستطيع لثرائها أن تؤدي المعنى. [١]

أما الدكتور: **صحبي الصالح** ، فقد ذهب الى اثبات ظاهرة الترادف في القرآن الكريم إذ يرى الترادف دليلا على سعة اللغة العربية ، ويقول : "وعلى هذا الأساس نقر بوجود الترادف في القرآن الكريم ، لأنه وقد نزل بلغة قريش المثالية يجري على أساليبها وطرق تعبيرها ، وقد أتاح لهذه اللغة طول احتكاكها باللهجات العربية الاقتباس مفردات تملك أحياناً نظائرها ولا تملك منها شيئاً أحياناً أخرى ، حتى إذا أصبحت جزءاً من محصولها اللغوي فلا غضاضة أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة ، وبهذا نفسّر ترادف أقسم وحلف في قوله : ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ** ﴾ [٢] ، وقوله : ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ** ﴾ [٣] وترادف بعث وأرسل في قوله :﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾ [٤] ، وقوله :﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [٥]

وترادف فضل وآثر في قوله : ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [٦] . فقريش كانت تستعمل في بيئتها اللغوية الخاصة أحد اللفظين في هذه الأمثلة الثلاثة ، وإنما اكتسبت اللفظ الآخر من احتكاكها بلهجة أخرى لها بيئتها اللغوية المستقلة . وهكذا لم نجد مناصاً من التسليم بوجود الترادف ولا مفراً من الاعتراف بالفروق بين المترادفات ، لكن هذه الفروق ـ على ما يبدو ـ تُنوسيت فيما بعد ، وأصبح من حق اللغة التي ضمتها إليها أن تعتبرها ملكاً لها ، ودليلا على ثرائها ، وكثرة مترادفاتها". [٧] .

وهكذا نرى اختلاف المفسرين واللغويين في كثير من كلمات القرآن الكريم ما يصعب علينا حصرها في بحث متواضع، ومن هذه الكلمات " الريب والشك" واللب والعقل" والحلم والرؤيا "وجاء واتى " ...

وختاما لا يمكن ان يوجد فن في اللغة العربية من غير فائدة فهي لغة عظيمة متطورة وان الترادف من تلك الفنون التي لها عظيم الفائدة أما عن وجوده في القرآن الكريم فإن له خصائص تميزه عن الترادف في اللغة على أن الترادف في اللغة العربية ليس مذموما .

المطلب الثاني: التورية

التَّوْرِية لغة: "التورية عن الشيء وهو الكناية عنه" [٨] .

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الازرق دراسة قرآنية لغوية لعائشة بنت الشاطىء ، ٧٦.
(٢) سورة النور :الآية ٥٣ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٧٤ .
(٤) **سورة الإسراء : الآية ١٥ .**
(٥) سورة الأنبياء :الآية ١٠٧ .
(٦) سورة البقرة :الآية ٢٥٣ .
(٧) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين الطبعة الاولى / ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .
(٨) لسان العرب، مادة (ورى): ٣٨٦/١٥.

الواو والراء والحرف الناقص تدل على الستر والإخفاء ، كما تدل على الإظهار والإبراز . ففي المعنى الأول، قال أبو عمرو : التورية الستر ، يقال منه وريت الخبر أوريه تورية : إذا سترته وأظهرت غيره [١] وفي الحديث أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - كان إذا أراد سفراً ورى بغير وذهب الخليل إلى أن الورى : الأنام الذين على وجه الأرض في الوقت ، ليس من مضى ، ولا من يتناسل بعدهم ، فكأنهم الذين يسترون الأرض بأشخاصهم [٢] .

وفي الاصطلاح: التورية: "هي أن يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره، مثل أن يقول في الحرب: مات إمامكم، وهو ينوي به أحدًا من المتقدمين) [٣] .

ولعل **أسامة بن منقذ** (٥٨٤ هـ) يمكن أن يعد من أوائل من أوصل إلينا حد التورية بقوله : " اعلم أن **التورية** : هي أن تكون الكلمة بمعنيين ، فتريد أحدهما ، فتوري بالآخر " [٤] .

وآثر **السكاكي**(٦٢٦ ه)- تسميتها بالإيهام فقال: " ومنه الإيهام : وهو أن يكون للفظ استعمالان : قريب وبعيد ، فيذكر لإيهام القريب - في الحال - إلى أن يظهر أن المراد البعيد " [٥] .

اولا: القائلون بوجودها في القرآن الكريم وأقوال.

يُعد **السكاكي** من أوائل من نص صراحة على وجودها في القرآن الكريم ، إن لم يكن أولهم . فقال بعد أن حد الإيهام ومثل له ببيت شعري أوضح ما فيه من إيهام في "قوله سبحانه :﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [٦] . وقوله : ﴿ **وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [٧] . وأكثر المتشابهات من هذا القبيل [٨] . وقال ابن أبي الاصبع بعد أن ذكر حد التورية : ومنها قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ** ﴾ [٩] فانظر إلى كون الضلال - ههنا - يحتمل الحب ، وضد الهدى .

وكيف استعمله أولاد يعقوب ، عليه السلام - ضد الهدى ، فوروا به عن الحب ، ليعلم أن المراد ما أهملوا ، لا ما استعملوا ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**﴾ [١٠] . على رأي من رأى أن البدن ههنا الدرع فإن البدن يطلق على الجسم ، وعلى الدرع وهو بهذا التفسير - في الظاهر قد

---

(١) تهذيب اللغة - ورى . ١٥/ ٢٢١

(٢) خرجه السيوطي في الجامع الصغير - ٢/١٠١ ورمز له "ما ووري عنهما" (٢٠ الأعراف : ٧) أي : شير . وقرىء وري عنهما ، بمعناه وتواري هو : استتر . قال تعالى : (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به " (٥٩ النحل : ١٦) . ويقال : الوراء ولد الولد ، أرادوا بذلك تفسير قوله تعالى : " ومن وراء إسحق يعقوب " (٧١ هود : ١١) (٨) . وذهب أبو عبيد إلى أن وريت الخبر أوريه تورية - إذا سترته وأظهرت غيره - مأخوذ من وراء الإنسان ، فقال : " ولا أراه مأخوذاً إلا من وراء الإنسان ، لأنه إذا قال : وريته ، فكانه ، إنما جعله وراءه حيث لا يظهر "

(٣) التعريفات: ص:٧١.

(٤) البديع في نقد الشعر ص: ٦٠ .

(٥) مفتاح العلوم ص: ٢٢٦.

(٦) سورة ٥ طه: الآية ٢٠ .

(٧) سورة الزمر : الآية ٦٧ .

(٨) مفتاح العلوم ، ابي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، تحقيق د عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية . بيروت، ص: ٢٢٦.

(٩) سورة يوسف : الاية ٩٥ .

(١٠) سورة يونس : الأية ٩٢ .

استعمله بمعنى الجسم ، وأهمل معنى الدرع . ومراده ما أهمل ، لا ما استعمل . فإن نجاة فرعون ـ أي خروجه من البحر بعد الغرق ـ بدرعه أعجب آية من خروجه مجرداً . ومن **التورية اللطيفة** ، قوله تعالى بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، حيث قال : ﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ**﴾[١] . ولما كان الخطاب **لموسى** ـ عليه السلام ـ من جانب الطور الغربي ، وتوجهت اليهود إليه وتوجهت النصارى إلى الشرق وكانت قبلة المسلمين وسطاً بين القبلتين، قال سبحانه وتعالى :﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [٢] ، أي : خياراً وظاهر اللفظ يوهم التوسط لاحتمالها المعنيين . ولما كان المراد ـ والله أعلم ـ أحد المعنيين الذي هو الخيار ، دون الآخر ، صلحت أن تكون من أمثلة هذا الباب" [٣] . مع أنه كان قد اقتصر في تحرير التحبير على الآية الأولى فقط ، فقال: (وإذا وصلت إلى ما وقع من التورية في الكتاب العزيز ، وصلت إلى الغاية القصوى ، وهي قوله تعالى :﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ** ﴾ [٤] [٥] .

وقال **القزويني** :" أما المجردة : فهي التي لا تجامع شيئاً مما يلائم الموري به أعني المعنى القريب ، كقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [٦] .

وأما **المرشحة** : فهي التي قرن بها ما يلائم الموري به ، إما قبلها كقوله تعالى : ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ [٧] .. وقال السكاكي "أكثر متشابهات القرآن من التورية" [٨] . ونقل **الحموي عن الزمخشري** ـ ٥٣٨ هـ أنه قال : " ولا ترى باباً في البيان أدق ، ولا ألطف من هذا الباب .

ولا أعون على تعاطي تأويل المتشبهات من كلام الله وكلام نبيه ﷺ وكلام صحابته ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فمن ذلك قوله تعالى :﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [٩] لأن الاستواء على معنيين:

أحدهما الاستقرار في المكان ، وهو المعنى القريب الموري به ، الذي هو غير مقصود ، لأن الحق ـ تعالى وتقدس ـ منزه عن ذلك . والثاني : الاستيلاء والملك ، وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور" [١٠] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .
(٣) بديع القرآن ابن ابي الاصبع المصري تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر : ١٠٢- ١٠٣.
(٤) سورة يوسف : ٩٥ .
(٥) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ا: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف: الجمهورية العربية المتحدة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي:٢٧٠.
(٦) سورة طه : الآية ٥ .
(٧) سورة الذاريات : الآية : ٤٧ .
(٨) الايضاح : في علوم البلاغة : محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق ، ت ، ٧٣٩. المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة: ٢/ ٣٥٣.
(٩) سورة طه الآية ٥ .

ثانيا: القائلون بخلو القرآن الكريم منها

لم يصرح احد على خلو القرآن من التورية، غير أن احد الأكاديميين المعاصرين وهو د. **محمد جابر فياض** قد الف كتابا تبنى به نظرية خلو القرآن الكريم من التورية وقد نقلت منه ما هو ضروري في بحثي ، فقال في كتابه" **التورية وخلو القرآن الكريم منها**" "وكون القرآن عربياً جارياً على أساليب العرب ، وطرائقها في التعبير ، وسبلها في تزيين كلامها وتحسينه ، لا يوجب أن تكون فيه كل تلك الألوان التي استخدموها ما وافقه منها ، وما لم يوافقه وكونه كما قيل فيه حمال أوجه، أو له ظهر وبطن ، وغير ذلك مما يشير إلى اختلاف مستويات الناس في فهمه وإدراكه ، لا يعني أنه توريات وإنما يعني : أنه نص أدبي رفيع ، ثري معطاء ، لا ينضب معينه بأغتراف المغترفين منه . واختلاف الناس في فهمه راجع إلى خصبه وثرائه من جهة ، واختلافهم في قابلياتهم وقدراتهم ، وتباين مداركهم من جهة أخرى . وقد مثله الله سبحانه وتعالى بالماء المنزل من السماء وقد توزعته الأودية كل بقدره. فقال تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** . . ﴾ [1] . وقال : صلى الله عليه وسلم ((إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنَ الْهدَى وَالعِلمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أصَابَ الأرْضَ، فَكَانَتْ مِنْهُ طَائِفَةٌ قَبِلَتْ فَأنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أجَادِبُ أمْسَكَتِ المَاءَ، فَنفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا نَاسًا فَشَرِبُوا فَرَعَوْا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأسْقَوْا، وَأصَابَتْ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى.

إنَّما هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً.)) هامش أخرجه أحمد (١٩٨٠٢)، والبخاري (٧٩)، ومسلم (٦٠١٧)، والنسائي (٥٨١٢)، وأبو يعلى (٧٣١١).. فذلك مثل من فقه في دين الله ، وتفقه بما بعثني الله به ، فعلم وعلم . ومثل من يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.

وهذان المثلان للقرآن كله ، محكمه ومتشابهة . فالآيات المتشابهات ليست توريات ، ولا شبيهة بالتوريات ، لا من قريب ولا من بعيد .

فالله سبحانه وتعالى لم يرد بها إيهام عباده كما هو التوريات (فما أنزل الله تعالى من آية ـ كما قال **الحسن البصري** - إلا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت ، وماذا عني بها) .

وإذا لم يرد الله إيهام عباده ـ وحاشا لله أن يريده ـ فمحال يقع ايهام في كلامه بغير إرادته . وهذا وحده كاف لنفي التورية أو الإيهام عن القرآن الكريم نفياً قاطعاً . ويؤيده أن الرسول ﷺ وأصحابه وتابعيهم - رضوان الله تعالى عليهم - كانوا قد قرأوا القرآن الكريم ، وتدارسوه وفسروه ، فما أشكل عليهم شيء منه ، ولا توقف مفسّر منهم عن تفسير آية من آياته .

([١٠]) الخزانة ص: ٩٢.

([١]) سورة الرعد : الآية ١٧ .

وما أن أخذ المسلمون نصيبهم من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، ونظروا إلى ذات الله - سبحانه وتعالى - وصفاته وأفعاله ، وما أخبر به من أمور الغيب بمنظار هذه العلوم ، مبتعدين عن سلامة الفطرة وصفائها ، حتى اشتد الخلاف في الآيات المتشابهات . [١] ومع هذا لم يقل أحد بأنها توريات حتى أولئك الذين أولوا ظاهر ألفاظها . كما لم يذهب أي من المفسّرين إلى شيء من هذا ، مع كثرة كتب التفسير وتنوعها واختلافها باختلاف مؤلفيها ومذاهبهم ، ولا يعقل أن تكون الآيات المتشابهات توريات ، ولا يشير عالم من كل علماء الأمة في كل تلك الأجيال التي تعاقبت منذ نزول القرآن إلى القرن السابع إلى هذا أو ينبه إليه ، ويغفل كل أولئك العلماء أو يتغافلون ، ويتنبه لهذا السكاكي أو غيره من معاصريه .

ولو كانت الآيات المتشابهات **توريات** لها معان ظاهرة غير مرادة وخفية هي **المرادة لما تفرق المسلمون فيها إلى أكثر من فرقتين** : **ظاهرية ضالة ، وباطنية مهتدية** . أما وقد تفرق المسلمون فيها إلى فرق عديدة وتعلقت الهداية بتنزيه الخالق جل شأنه عن التشبيه والتعطيل ، لا بظاهر المعنى ، ولا يخفيه ، فليست هذه الآيات من التوريات في فمن أهل الظاهر من اهتدى للتنزيه بتجنبه التشبيه والتجسيم فما حال الظاهر بينهم وبين الهداية . ومنهم من انتهى به الظاهر إلى التشبيه والتجسيم فضل وأضل . ومن المؤولين من اهتدى للتنزيه أيضاً لتجنبه التعطيل ، فما حال التأويل بينهم وبين الهداية . ومنهم من انتهى به التأويل إلى التعطيل فضل وأضل وهكذا نجد أن التنزيه هو المراد من ظاهر معنى اللفظ أو خفيه.

المطلب الثالث: السجع

السجع لغة: سجع ، يسجع ، سجعا : استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا [٢] . يقال لغة: سجَعَت الحمامَةُ أو النَّاقةُ سَجْعاً، إذا رَدَّدَتْ صَوْتَها عَلى طريقةٍ واحدة. ويقال: سجَعَ المتكلّم في كلامه، إذا تكلّم بكلامٍ له فواصل كفواصل الشّعر مُقَفّىً غير موزون.

السجع اصطلاحا: هو تواطُؤُ الفاصلتين من النَّثر على حرف واحد، وهو في النثر كالقافية في الشعر[٣].

و"السجع هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد" وعرفه القزويني بقوله: "السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد " [٤] .

وأفضل السجع ما كانت فِقَرَاتُه متساويات، مثل : قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه المتضمِّنِ الحثَّ على الإنفاق في الخير، والتحذيرَ من الإمساك: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَأَعْطِ مُمْسِكاً تلفاً "وقول أعرابي ذهب

---

(١) الطبري: محمد بن جرير جامع البيان في تفسير القرآن. القاهرة: دار هجر، ٢٠٠١.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (سجع): محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ ه / ١٥٠/٨.

(٣) البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ): دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م: ج٢/ ٥٥٣.

(٤) " المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده- أبي الحسن علي بن إسماعيل(ت: ٤٥٨هـ) تحقيق : مصطفى السقا، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط١: ١٧٨/١، - الايضاح، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد العليم خفاجي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٥٢هـ: ص/٥٤٧.

السَّيلُ بابْنِه: اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ قَدْ أَبْلَيْتَ، فَإنَّكَ طَالَمَا قَدْ عَافَيْتَ." وقولهم " "الحرُّ إذَا وَعَدَ وَفَى، وإذا أَعَانَ كَفَى، وإذَا قَدَرَ عَفَا" [١] .

والأصل في السّجع، أن يكون في النثر، لكنَّه قد يأتي داخل فِقَراتِ البيت من الشعر، فيزيدُه حُسْناً إذَا كان مستوفياً شروطه الفنيّة غير متكلّف وتأدَّب بعض العلماء فخصّ ما هو ملاحظٌ في القرآن من سجع باسم "**فواصـــل**" . ويُطلق على الفِقَرَةِ المنتهية بالفاصلة: "سَجْعه" وجمعها "سجعَات" ويُطْلَق عليها "قَرينة" لمقارنَتها لأختها، وتجمع على "قرائن" ويُطْلَقُ عليها "فِقَرَة" وجمعُها "فقْراتُ" و"فِقَرَات" و"فِقَر" [٢] .

فالسجع فن من فنون الكلام الرفيعة، ومحك التمكن والاقتدار على التعبير الجميل ، ودلالة على قدرة التحكم في تشكيل ألوان متعددة ومتباينة أثناء الكلام ومن ثم ، فإن السجع إذا جاء بمنأى عن التكلف والتزلف، والتعسف، وجاء محمولا على ما تجيش به الطبائع ، وتجود به القرائح في يسر وتناسق ، يصدر عن صاحبه كما تصدر المياه الرقراقة في جداولها، تنساب انسيابا، فذاك أعلى درجات الكلام، وقمة الإبداع والتفنن ، وأصفى موارد الجمال وأعلى مراتب البيان. ومن الدقة في التقسيمات والتفصيلات لدى علمائنا الأقدمين تقسيمُهُمُ السّجع إلى عدّة أقسام هداهم إليها واقع الأمثلة التي نظروا في شرحها وتحليلها، مع النظر في الاحتمالات العقلية التي تتعرّض لها الْجُمَل المسجوعة في اللّسان العربي فقسموا السجع باعتبار الوزن الى أربعة أضرب:

١- **المرصع**: هو أن تكون الألفاظ المتقابلة في السَّجْعَتَيْن متفقةً في أوزانها وفي أعْجَازِها، "أي: في الحرف الأخير من كلّ متقابلين فيها" مثل : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾. [٣] . فالتقابُلُ في كَلِمَاتِ الفقرتين يُلاحَظُ فيه الاتفاق في الأوزان وفي الحرف الأخير.

-إنّ - إلَيْنَا - إيَابَهُمْ - ثم.

-إنَّ - عَلَيْنَا - حِسَابَهُمْ.

-أمّا كلمة "ثُمَّ" فهي بمثابة المشترك بين الفقرتين [٤] . ونحو قوله تعالى ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ [٥] .

- والتقابل في هذا المثال كما في المثال السابق.

- وقول الحريري:

"فَهُوَ يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهْ، ويَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهْ." التقابل في كلمات هَاتين الفِقْرتَيْن تقابُلُ اتّفاقٍ في الأوزان وفي الحرف الأخير:

---

(١) البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي : ج ٢ / ٥٥٤.
(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة .
(٣) سورة الغاشية : اللايتين: ٢٥ ؛ ٢٦
(٤) البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي : ج ٢ / ٥٥٤. وينظر : خزانة الادب لابن حجة الحموي ج٢ / ٤١١.
(٥) سورة الانفطار : الآية : ١٣، ١٤.

فهو : يَطْبَعُ - الأَسْجَاعَ - بِجَواهِرِ - لَفْظِهْ.
و : يَقْرَع - الأَسْمَاعَ - بزَواجِرِ – وَعْظِهْ . [١] .

المتوازي: وهو أن تكون الكلمتان الأخيرتان من السّجعَتَيْن متَّفِقَتَيْن في الوزن وفي الحرف الأخير منهما، مع وجود اختلافٍ ما قبلهما في الأمرين، أو في أحدهما، مثل: في وصف الجنة: ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۞ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ** ﴾ [٢].

كلمتا" :**مَرْفوعَة** "و"موضوعة "متفقان في الوزن والحرف الأخير، كلاهما وقع في نهاية الفقرة ، لكنّ ما قبلهما وهما " :**سُرُرٌ** "و"**أَكْوَابٌ** "غير مُتَّفِقَتين فيهما [٣].

٢- **المطرف أو المتطرف** : وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الاخير [٤]. نحو قوله تعالى: ﴿**مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [٥]. فكلمتا: "**وَقــــارا**" و"**أَطْـــوَارَا**" مختلفتان في الوزن، متفقتان في الحرف الأخير [٦].

"الإنْسَانُ **بآدَابهْ** لاَ بِزِيِّهِ **وَثِيَابِهْ**".

٣- **المشطَّـر ويسمى ايضا المشور والتشطير:** وهو خاص بالشعر يكون بِجَعْلِ كلِّ شَطْرٍ مِنَ شطْرَي البيت مسجوعاً سجْعاً مخالفاً للسّجع في الشطر الآخر، مثل قول أبي تَمَّام : **تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ :بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ ..... لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ. في اللَّهِ مُرْتَقِبِ.**

فالسَّجْعُ في الشطر الأول على حرف الميم، وفي الشطر الثاني على حرف الباء [٧].

وقول الخنساء: **حَامِي الحقيقةِ. مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ ..... مَهْدِيُّ الطَّريقة. نَفَّاعٌ وضَرَّارُ.**

أولًا: السجع في القرآن بين المانعين والمجـــيزين.

الفواصل القرآنية من الموضوعات الشائكة التي دار حولها جدل ونقاش شديدان قديما وحديثا، وتصدى لهذا الموضوع لفيف من خيرة علماء الأمة ومدار الخلاف أنّ هؤلاء العلماء حاولوا ربط الفواصل القرآنية بقضية السجع، مما أدى إلى تباين وجهات النظر، وترتب عن ذلك انقسام هؤلاء العلماء إلى فريقين:

الفريق الأول: (وهو رأي الجمهور) ويرى أنّ السجع لا يقع في القرآن، وما جاء في القرآن، فهو من قبيل **"الفواصل"** وفريق آخر: يرى أن السجع واقع في القرآن الكريم ، كما أن الفواصل واقعة فيه أيضا [٨] .

---

(١) المصدر السابق نفس الجزء / ٥٥٦.
(٢) سورة الغاشية الآية : ١٣، ١٤.
(٣) البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي : ج ٢ / ٥٥٥.
(٤) البرهان للزركشي ج١/ ص٧٥.
(٥) سورة نوح: الاية: ١٣، ١٤.
(٦) البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي : ج ٢ / ٥٥٧.
(٧) المصدر السابق والجزء والصفحة .
(٨) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي- أبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق: ٢٢٥/٩.

ومن العلماء القائلين بعدم وقوع السجع في القرآن **الرماني** (ت: ٣٨٦هـ) ، والذي يعد من خيرة علماء القرن الرابع الهجري، فهو يرى أن الفاصلة القرآنية تعد من قبيل البلاغة العالية التي اتصفت بها آيات القرآن وليست مجرد إيقاعات وأجراس صوتية لا تخرج عن السجع وألوانه، فأبان أن مثل هذا الحكم يعد خطأ شنيعا ، وشططا في الفهوم يخرجها عن جمال بلاغة القرآن وروعته ، وفي هذا يقول الرماني : " الفواصل بلاغة والأسجاع عيب ذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها [١].

ومن المنكرين لوقوع السجع في القرآن الباقلاني حيث يقول :" لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم" [٢] .

فنفاة السجع أسسوا رؤيتهم على **أنّ السجع ارتبط بالكهان في الجاهلية وعرف كلامهم بسجع الكهان** ، ورأوا أنّ الكهنة استغلوا السجع في إحقاق الباطل ودحض الحق ، واستغلال حاجات الناس، ويبقى نهي الرسول (ﷺ) عن السجع هو السبب الرئيس في كراهة السجع ونفيه من القرآن الكريم عند هؤلاء وطريقة فهمهم وتخريجهم لهذا الحديث ، والحديث النبوي الشريف قصته : " عَنْ عَمْرِو بْنِ تَمِيمِ بْنِ عُوَيْمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كَانَتْ أُخْتِي مُلَيْكَةُ وَامْرَأَةٌ مِنَّا يُقَالُ لَهَا: أُمُّ عَفِيفِ بِنْتِ مَسْرُوحٍ تَحْتَ حَمَلِ بْنِ النَّابِغَةِ فَضَرَبَتْ أُمَّ عَفِيفٍ مُلَيْكَةَ بِمِسْطَحِ بَيْتِهَا، وَهِي حَامِلُ فَقَتَلَتْهَا، وَمَا فِي بَطْنِهَا فَقَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فِيهَا بِالدِّيَةِ وَفِي جَنِينِهَا بِغُرَّةِ عَبْدٍ أَو وَلِيدَةٍ، فَقَالَ أَخُوهَا الْعَلَاءُ بْنُ مَسْرُوحٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَغْرَمُ مَنْ لَا أَكَلَ وَلَا شَرِبَ وَلَا نَظَرَ وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ هَذَا يُطَلُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم: « أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْجَاهِلِيَّةِ » .

وقد قدم النفاة للسجع والمثبتون حججا وأدلة يؤيدون وجهات نظرهم ، وهذه الأدلة والحجج مبثوثة في ثنايا الكتب ، ولذلك لن أطيل في سرد تلك الآراء وأدلتها ، وإنما أوجز أهمها مع بيان الرأي الأمثل فيها .

-من حجج المانعين :

١-استند المانعون إلى أن السجع منهي عنه شرعا، وحجتهم في ذلك قول المصطفى(ﷺ) لذلك الساجع في قضية المرأتين المشار إليها سلفا.

٢-السجع مقصود لذاته، وذلك أن المعنى يتبع فيه اللفظ ، فتلوح عليه أمارات التكلف والتعسف .

٣-لو صح أنّ في القرآن سجعا لكان مذموما.

٤-لو صح ورود السجع فيه لم يكن معجزا؛ لأنه يكون جاريا على أساليب كلام العرب ، لو جاز أن يقال : هو سجع معجز لجاز أن يقال :هو شعر معجز.

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، للرماني- علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبي الحسن المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ) تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٦م: ص/٣٤.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م: ١٤١/١٧، برقم (٣٥٢)، ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٠٠/٦.

٥- السجع كان يتعاطاه الكهان من العرب ، وإذا كان الله قد نفي الشعر عن كتابه ،فإن نفي السجع أولى الأن الكهانة تنافي النبوات.

وأغلب هذه الأدلة والحجج وغيرها أوردها الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن في باب نفي السجع عن القرآن .

- من حجج المجيزين:

١-ورود السجع بكثرة في القرآن الكريم ، بل إنّ بعض السور قد جاءت كلها مسجوعة على حرف واحد ، كسورة " النجم " و "القمر" و "الرحمن " وغيرها.

٢-وجود السجع في القرآن لا ينفي الاعجاز عنه ؛ لأن في القرآن فنوناً أخرى من أساليب العرب في كلامهم : " كالاستعارة ، والتطبيق ، والكناية ، والجناس" وغيرها ، ولم يقل أحد بنفي شيءٍ منها.

٣-كل ما جاء في القرآن من سجع، فهو من الطبقة العليا في الفصاحة والبلاغة والقوة والصفاء ، والجمال، سواء المتحد الفواصل منه ، والمتقارب .

٤-لو كان القرآن نازلا على غير أساليب العرب لما صح أن يتحدوا به ، ولما كان للإعجاز حينئذ معني ... وغيرها من الأدلة. [١]

إن الخلاف الواقع بين المانعين لوقوع السجع في القرآن ، والمجوزين ، يعدّ خلافا شكليا ، مادام الفريقان متفقين على أن الفاصلة تخص القرآن والسجع يخص غيره.

فالفواصل القرآنية منها المسجوع، ومنها المرسل [٢].

راي الزركشي في قضية السجع في القرآن: يرى الزركشي بوقوع السجع في القرآن ، بدليل أنه فرق بين الأسجاع والفواصل ، وبين أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول ، وأن الفصول منها ما يكون متماثل الحروف في المقاطع فيكون سجعا ، ومنها ما يكون متقاربا لا متماثلا فلا يكون سجعا ، وكل من المتماثل والمتقارب ؛إما أن يكون عفويا سهلا تابعا لمعناه، وإما أن يكون على الضدين ، ذلك فالأول محمود، والثاني مذموم والقرآن ورد فيه القسمان جميعا ؛ المتماثل والمتقارب وكلاهما في القسم المحمود، واستند في ذلك على ما قاله ابن سنان الخفاجي ، ثم بين قول حازم القرطاجي من "أنه كيف يعاب السجع على الإطلاق ، أو إنما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب ، وإنما لم يجئ على أسلوب واحد ، لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلف ، ولما في الطبع من الملل عليه ، ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد ، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل " [٣].

---

[١] ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٦٥/١.

[٢] ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨١م: ص/٣٨٨.

[٣]) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان ، ط١٩٨١، ٢ ، ص ٣٨٨،٣٨٩.

ومما سبق يتأكد لنا أن الزركشي يقر بوقوع السجع في القرآن لقوله... إن الفصول منها ما يكون متماثل الحروف في المقاطع فيكون سجعا " [١].

الخلاصة : ومن هنا يتضح جليا أنّ الخلاف القائم بين المؤيدين والمانعين لا يعدو أن يكون خلافا شكليا ، ويزيد الدرس البلاغي الصوتي ثراء وغنى ، وفي اعتقادنا أن القرآن فيه سجع ، ولكنه يختلف عن السجع البشري المتكلف المصنوع المذموم ، فهو سجع قمة في التناسق ، وغاية في الانسجام لأنه جاء لتحقيق غاية جمالية من حيث الإيقاع والتناسب والتناغم مما يؤدي إلى إحداث التأثير النفسي لدى المتلقي.

المطلب الرابع: الزيادة في القرآن (زيادة الحرف)

الزيادة لغة: النمو، والزيادة خلاف النقصان، وزاد الشيء يزيد زيدا وزيادة «الزِّيادة: النُّموّ، وَكَذَلِكَ الزُّوادَةُ. وَالزِّيَادَةُ: خِلَافُ النُّقْصَانِ.»

وقوع الزيادة في القرآن، مختلف فيه بين أهل العلم، وكثير من أهل اللغة، والنحو، والبلاغة يقولون بوقوع الزيادة، ومرادهم بذلك أن الحروف زيدت لضرب من التأكيد، كما قال ابن يعيش في شرح المفصل، [٢] وابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن) [٣].

زيادة حروف المعاني اصطلاحا: من خلال ملاحظة استعمالات العلماء لمصطلح زيادة حروف المعاني وجدت أنهم لم يتفقوا على معنى واضح محدد لهذا المصطلح، فبعضهم يستعمله ويريد به زيادة الحرف من حيث الإعراب، بمعنى أن الحرف الزائد إذا أسقط من الكلام بقي الكلام تاما، ويرى هؤلاء أن مجيء الحرف على هذا النحو إنما هو لتأكيد المعنى ممن قالوا بزيادة حروف المعاني، سيبويه من علماء اللغة وأبو عبيدة والفراء والزّجاج وهؤلاء من علماء معاني القرآن الكريم وإعرابه، والزّجاجي من علماء حروف المعاني، والزمخشري وأبو حيان من علماء التفسير، وغيرهم والذين قالوا بوجود حروف زائدة هم جمهور اللغويين والمفسرين.وتجدر الإشارة إلى أن ليس من هؤلاء من يقول بالزيادة دائما، بل تجد منهم من يقول بالزيادة في موضع، وينفيها في موضع آخركما سيظهر لنا لا حقا، وهذا يعني أن هؤلاء يقولون بالزيادة عندما يرون - حسب قناعتهم- أن ليس لهذه الحروف معنى تأسيسيا، ولو أنهم وجودوا لها معنى تأسيسيا لما قالوا بالزيادة، لذلك صنف بعض الكتاب العلماء في هذا المقام ثلاثة أصناف مثبتين ونافين، وفريقا ثالثا أثب أحيانا ونفى أحيانا أخرى، لكني رأيت أن من أثبت أحيانا أحرى به أن يكون مع المثبتين لأنه قبل فكرة الزيادة من حيث المبدأ. قال الزركشي في البرهان في علوم القرآن: ومعنى كونه زائدا: أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد، فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة. اهـ. وقد ذكر بعض أهل العلم أن عبارة الزيادة، لا يليق إطلاقها في القرآن، بل ينبغي أن تسمى تأكيدا. قال الزركشي: "والأكثرون ينكرون

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج٢ ص٦٥.

(٢) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش- يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي (ت: ٦٤٣ هـ)، تحقيق: مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة:١٥١/٧. ولسان العرب : ٣/ ٩٨١

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة- أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص/ ١٢٣.

إطلاق هذه العبارة في كتاب الله، ويسمونه التأكيد. ومنهم من يسميه بالصلة، ومنهم من يسميه المقحم...." [١].

ويشار الى أنّ الزيادة واللغو من عبارة البصريين، والصلة، والحشو من عبارة الكوفيين. قال سيبويه، عقب قوله تعالى: {فبما نقضهم}: إن [ما] لغو؛ لأنها لم تحدث شيئا. والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى؛ فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب، لا من جهة المعنى. [٢] .

وأضاف الزركشي: "فإن قوله: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ** ﴾ معناه: [ما لنت لهم إلا رحمة] وهذا قد جمع نفيا، وإثباتا ثم اختصر على هذه الإرادة، وجمع فيه بين لفظي الإثبات، وأداة النفي التي هي [ما]. وكذا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ** ﴾ [٣] فـ[إنما] ها هنا حرف تحقيق، وتمحيق، إن هنا للتحقيق، وما للتمحيق، فاختصر، والأصل: [ما الله اثنان فصاعدا، وأنه إله واحد" [٤].

ويبدو أن زيادة الحروف متعددة، وتأتي على غير قياس ، قال ابن جني : "وزيادة الحروف كثيرة ، وإن كانت علي غير قياس ". [٥] إلا أن هذه الزيادة علي ضربين : زيادة للتوكيد ، وأخري لغير التوكيد ، يقول ابن يعيش: "وذلك أن الزيادة علي ضربين : زيادة مبطلة للعمل مع بقاء المعنى وزيادة لا يراد بها أكثر من التأكيد في المعني، وإن كان العمل باقية، نحو : ماجاني من أحد ، والمراد : ما جاءني أحد.." [٦].

فالغرض إذن من الأحرف الزائدة هو التأكيد ؛ لأنّ قولنا زائد ليس المراد أنه دخل لغير معنى البتة ، بل يُزاد لضربٍ من التأكيد، والتأكيد معني صحيح ، قال سيبويه عقيب قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾؛ ونظائره، فهو لغو من حيث إنها لم تحدث شيئا لم يكن قبل أنْ تجي من المعني سوى تأكيد الكلام [٧].

وقال **الزركشي**: " ومعنى كونه زائدًا أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد؛ فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة. وسئل بعض العلماء عن التأكيد بالحرف وما معناه، إذ إسقاط الحرف لا يخل بالمعنى؟ فقال: هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف [٨].

زيادة حروف المعاني بين المجيزين والمانعين :

سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ(صاحب أقدم مصنف في النحو وهو (الكتاب)، وسيبويه ممن قالوا بزيادة حروف المعاني في القرآن الكريم وعبر عنها بمصطلح (توكيد لغوي) .

---

[١] البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣/٧٠.
[٢] ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ٧٣.
[٣] سورة النساء : الآية ١٧١ .
[٤] المصدر نفسه: ٣/٧٢.
[٥] الخصائص، لابن جني- أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت،١٣٧٦هـ/١٩٥٧م: ٢/ ٢٨٤.
[٦] شرح المفصل: ٧/١٥٠.
[٧] الكتاب، لسيبويه- أبي بشر عمرو بن عثمان (ت:١٨٠ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م: ١/١٨٠-١٨٢.
[٨] البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣/ ٧٣.

يقول: مثلا: عند حديثه عن(ما)"وتكون توكيدا لغويا ،وذلك قولك: متى ما تأتني آتك، وقولك غضبت من غير ما جرم، وقال الله عز وجل: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ**﴾(النساء:١٥٥)(المائدة : ١٣) [١] وهي لغو في أنها لم تحدث إذا جاءت شيئا لم يكن قبل أن تجيء من العمل، وهي توكيد للكلام" [٢] .

لكن المتتبع لمصطلح سيبويه يجد أنه لا يقصد باللغو أنه فضل كلام أو حشو لا فائدة من ذكره، إنما يقصد أنه لغو في **الإعراب**، ويؤكد ذلك كلامه عند حديثه عن (من) حيث يقول: " وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيما، ولكنها توكيد بمنزلة (ما) _ ثم يقول _ وذلك قولك: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد. ولو أخرجت (من) كان الكلام حسنا، . ولكنه آكد ب (من)؛ لأن هذا موضع تبعيض فأراد أنه لم يأته بعض الرجال والناس" [٣] .

فهو يقصد اللغو من ناحية الإعراب، أما من حيث المعنى فالحرف عنده يفيد التوكيد.

الفراء: يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ).

صاحب كتاب (مِعاني القرآن) من النحاة الكوفيين ،وهو ممن يقولون بزيادة حروف المعاني، ويعبر عنه بمصطلحات عدة أشهرها (الصلة) وهو مصطلح الكوفيين للزيادة، ومن مصطلحاته: (الإلقاء والنزع والسقوط والاستغناء.(ومما عّده الفراء حرفا زائدا (الواو) في قوله تعالى:(**حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ** ﴾ (آل عمران:١٥٢)[٤] حيث قال: " حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم، فهذه الواو معناها السقوط..

الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٣٧ هـ).

صاحب كتاب (حروف المعاني والصفات) ذكر فيه زيادة بعض حروف المعاني نحو زيادة (لا) في قوله تعالى: ﴿لا أقسُم بيَوم الْقيَامة﴾ (القيامة:١)[٥] ، ذكر أنها " تزاد مع اليمين وتطرح". كذلك:، قال عن الكاف "تكون مزيدة كقوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ﴾[٦] . المعنى ليس مثله شيء [٧].

الزمخشري: محمود بن عمرو (ت ٥٣٨ ه)

صاحب (الكشِاف عْ حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوُ التأويل). يقول بالزيادة ومن ذلك قوله بزيادة (ما) في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ**﴾ (آل عمران:١٥٩)[٨] حيث قال:" (ما) مزيدة للتوكيد، وللدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله، ونحوه: (فَبَما نَقضهْم ميثَاقَهم لعناهم) (المائدة : ١٣)". [٩]

---

(١) سورتين النساء الاية ١٥٥ والمائدة الاية ١٣ .
(٢) المصدر نفسه ،٤/ ٢٢١.
(٣) معاني القران عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠، ١/ ٢٣٨.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٢ .
(٥) سورة القيامة: الاية ١.
(٦) سورة الشورى : الآية ١١ .
(٧) كتاب حروف المعاني، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص ٨
(٨) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٩) سورة المائدة : الآية ١٣ .

[١] . ويلاحظ أن الزمخشري في المواضع الي يقول فيها بالزيادة ، يقرر أن الزيادة جاءت للتأكيد. وبرغم قوله بالزيادة إلا أنه في كثير من المواضع يرد قول الآخرين بالزيادة ويستنبط في تلك المواضع حكما دقيقة تؤكد أصالة الحرف. ومن ذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ (المائدة:٦)[٢] يقول: " المراد إلصاق المسح بالرأس، ثم قال: وعليه فالباء أصلية للإلصاق" [٣].

ابو حيان : محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ)

صاحب (تفسيْ البحر المحيط)، وهو من القائلين بالزيادة ومن الأمثلة على ذلك قوله بزيادة (من) في قوله تعالى: (**وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ**) (الأنعام:٤) [٤] ، قال: "ِمن زائدة لاستغراق الجنس، ومعنى الزيادة فيها أن ما بعدها معمول لما قبلها فاعل بقوله " **تَأْتِيهم**" فإذا كانت النكرة بعدها مما لا يستعمل إلا في النفي العام، كانت مْن لتأكيد الاستغراق نحو ما في الدار من أحد، وإذا كانت مما يجوز أن يراد بها الاستغراق، ويجوز أن يراد بها نفي الوحدة أو نفي الكمال كانت من دالة على الاستغراق نحو ما قام من رجل" [٥].

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)

اخرنا الطبري إلى ها هنا لأنه حالة خاصة في هذا الموضوع، يصلح أن يجعل رأياً بين الرأيين، فهو ينكر القول بالزيادة، ويحاول أن يجد من خلال نظره الدقيق للحرف والآية والسياق فائدة لمجيئه بجانب التوكيد، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ (البقرة:٣٠) [٦] ، نقل القول بزيادة.. إذ.. وأن المعنى على ذلك قال ربك، ثم رد هذا القول، وقرر أن (إذ) جاءت هنا بمعنى الجزاء (الشرط) لتدل على مجهول من الوقت [٧] ومن المواضع الي يطيل فيها الطبري الكلام في رد القول بالزيادة تفسيره لقوله تعالى: ﴿**لا أُقْسم بيَوم الْقيَامة**﴾(القيامة:١)[٨] حيث ذكر القول بزيادة (لا) وأن المقصود القسم ونقل كذلك القول بأن المقصود نفي القسم، ورد هذين القولين واختار قولا ثالثا مبنياً على القول بأصالة (لا) ونفي زيادتها وهو أن (لا) أصلية نافية تنفي سابقا لها ويسمى هذا النوع من القسم (اليمين المستأنف)، يقول الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الله أقسم بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، وجعل (لا) لكلام قد كان تقدمه من قوم وجوابا لهم".(٢) [٩] غير أنه تردد في الحكم على (ا) في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾ (آل عمران:١٥٩)[١٠] فذكر عند تفسيره الآية ما نصه: " يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿**فَبِمَا**

([١]) الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري دار الريان الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٧ . ج١ ص ٤٣١.
([٢]) سورة المائدة : الآية ٦ .
([٣]) المصدر نفسه : ج١ ص ٦١٠.
([٤]) سورة الأنعام: الآية ٤ .
([٥]) البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الاندلسي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى سنة ٢٠٠١م ج٤ ص٤٣٦.
([٦]) سورة البقرة :الآية ٣٠ .
([٧]) جامع البيان عن تاويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري تحقيق محمد شاكر دار التراث . طبعة ٢٠٠١م ، ١/ ٢٢٤.
([٨]) سورة القيامة : الآية ١ .
([٩]) جامع البيان الطبري : ج١٤ ص ١٧٢.
([١٠]) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (آل عمران:١٥٩)[١] ، فبرحمة من الله، وما صلة. وقد بينت وجه دخولها في الكلام في قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ (البقرة:٢٦) [٢] . والعرب تجعل ما صلة في المعرفة والنكرة، كما قال: ﴿**فَبِما نَقضِهِم ميثَاقَهُم**﴾ (النساء:١٥٥ -المائدة:١٣) [٣] ، والمعنى: فبنقضهم ميثاقهم. وهذا في المعرفة. وقال في النكرة ﴿**قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصبُحَنَ نَادَمِين**﴾ (المؤمنون:٤٠)[٤] ، والمعنى: عن قليل وربما جعلت اسماً وهي في مذهب صلة، فيرفع ما بعدها أحياناً على وجه الصلة، ويخفض على إتباع الصلة ما قبلها" [٥] .

وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿**فَقَلِيلًا ما يُؤمِنُونَ**﴾ (البقرة:٨٨) [٦] قال: "قال بعضهم: هي زائدة لا معنى لها، وإنما تأويل الكلام: فقليلاً يؤمنون، كما قال جل ذكره ﴿**فَبما رحمة من الله لنت لهَم**﴾ (آل عمران:١٥٩)[٧] وما أشبه ذلك، فزعم أن ما في ذلك زائدة، وأن معنى الكلام: فبرحمة من الله لنت لهم. وأنكر آخرون ما قاله قائل هذا القول في ما... وقالوا: إنما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم، جميع الأشياء، إذ كانت ما كلمة تجمع كل الأشياء، ثم تخص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها. وهذا القول عندنا أولى بالصواب، لأن زيادة ما لا يفيد من الكلام معنى في الكلام، وغير جائز إضافته إلى الله جل ثناؤه" [٨] .

إذن المتتبع لكلام الطبري يجد أنه ينكر القول بالزيادة في مواضع كثيرة قيل فيها بالزيادة، غير أنه هنا يقول بزيادة (ما) في هذه الآية، ولعل ذلك إشارة إلى أنه يجّوز القول بالزيادة من حيث المبدأ، لكنه لا يقول به إلا إذا تعذر حمل الحرف على معنى أصيلا.

الخلاصة: مما سبق يبدو أن العلماء الذين استخدموا مصطلح الزيادة في وصف بعض حروف المعاني في القرآن الكريم، كانوا يقصدون الزيادة النحوية، ويؤكد ذلك أنهم كانوا أحيانا يطلقون لفظ الزيادة مصحوبا بقيد التأكيد فيقولون زائد للتأكيد، وعليه فإن قولهم بالزيادة ليس المقصود منه أن هذا الحروف فضلة لغوية لا فائدة منها ووجودها كعدمها، بل المقصود منه أن الحرف لم يضف شيءً على المعنى الأصلي. وهذا ما ذكره سيبويه عندما تحدث عن(من) فقال " وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيهكان الكلام مستقيما ولكنها توكيد" [٩].

شواهد من زيادة الحروف في القرآن الكريم

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦.
(٣) في سورتين النساء: الآية ١٥٥ – المائدة : الآية ١٣ .
(٤) سورة المؤمنون : الآية ٤٠.
(٥) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٩٠.
(٦) سورة البقرة : الآية ٨٨ .
(٧) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .
(٨) المصدر السبق ج١ ص٣٧١.
(٩) الكتاب لسيبويه : ج٤ ص٢٢٥.

١- زيادة "أن" المفتوحة الخفيفة، وتكثر بعد "لما الظرفية" ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ [١] .

٢- زيادة " إن " ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾[٢] .

٣- زيادة " الباء " ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[٣] .

٤- زيادة "الكاف" ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[٤] .

٥- حرف "اللام" ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾[٥] .

٦- "لا النافية" ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[٦] .

٧- زيادة "ما " ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[٧] .

٨- زيادة " مِن" ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾[٨] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٣٣ .
(٢) سورة الأحقاف : الآية ٢٦ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .
(٤) سورة الواقعة : اللايتين ٢١-٢٢ .
(٥) سورة طه : الآية ١١٧ .
(٦) سورة القيامة : الآية ١ .
(٧) سورة الاسراء : الآية ١١٠ .
(٨) سورة الملك : الآية ٣ .

الخاتمة

بعد عون الله وتوفيقه توصلت في بحثي على إن القرآن الكريم نزل على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم واللغة العربية في اعلى درجاتها من التطور والاكتمال فجاءت جامعة لكل فنون اللغة محافظة على قداس كلام رب العالمين بأدق التفاصيل في التعبير ، كما أن القرآن الكريم قد اتسم بالوحدة الموضوعية لكل سورة من سوره فلا يمكن ان نجد لفظة لا تتناسب مع المعنى الذي اراده رب العالمين او لا تتناسب مع المكان الذي هي فيه بين الألفاظ الاخرى.

وان اهم نتائج هذا البحث:

١. القرآن الكريم لا يعتمد على السجع المبالغ فيه، بل يأتي بكلام معجز يتسم بالجزالة والوضوح، دون تكلُّف أو محاولة لإثارة الانطباع السمعي الزائد.

٢. القرآن يُقدّم الحقائق بوضوح تام، فلا مجال للغموض أو اللبس في المعاني التي يريد أن يبلغها.

٣. في القرآن، كل كلمة مختارة بعناية لتعبر عن معنى دقيق، وتجنب استخدام الترادف غير الضروري يساعد في الحفاظ على دقة المعنى وبلاغته. كل لفظة تأتي في مكانها لتؤدي وظيفة معينة.

٤. القرآن لا يحتوي على كلمات زائدة عن الحاجة، بل كل كلمة تأتي بمعنى متكامل لتحقيق أقصى تأثير.

٥. سبب عدم وجود هذه الأساليب هو أن القرآن هو كتاب معجز في بلاغته، وكل جزء فيه يتناسب مع جلال رسالته وعظمته. الألفاظ والعبارات في القرآن اختيرت بدقة ليكون المعنى واضحًا وقويًا، دون التلاعب بالأشكال البلاغية التي قد تضر بالوضوح أو تناقض العظمة الإلهية.

المصادر

- **القرآن الكريم**

١. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الازرق دراسة قرآنية لغوية لعائشة بنت الشاطىء ، دار المعارف مصر .
٢. الالفاظ الكتابية، عبد الرحمن بن حماد ابو عيسى الهمداني ، تحقيق إميل بديع يعقوب.
٣. الايضاح : في علوم البلاغة : محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق ، ت ، ٧٣٩. المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة. .
٤. بديع القرآن ابن ابي الاصبع المصري تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر .
٥. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهاء الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ(المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م : دار إحياء الكتب العربية ،بيروت، لبنان ..
٦. بيان اعجاز القرآن للخطابي- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ: المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
٧. البيان والتبين للجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ): دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٤٢٣ هـ ،.
٨. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة- أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،.
٩. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ا: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
١٠. جامع البيان عن تاويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري تحقيق محمد شاكر دار التراث . طبعة ٢٠٠١م ، معاني القران عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية.
١١. الخصائص، لابن جني- أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت،١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
١٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي- أبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق: .
١٣. دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين الطبعة الاولى / . .
١٤. شرح المفصل، لابن يعيش- يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي (ت: ٦٤٣ هـ)، تحقيق: مشيخة الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.
١٥. الفروق في اللغة لابي الهلال العسكري ، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٣م/ .
١٦. كتاب حروف المعاني، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤،
١٧. الكتاب، لسيبويه- أبي بشر عمرو بن عثمان (ت:١٨٠ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
١٨. الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري دار الريان الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٧ .

١٩. لسان العرب، مادة (سجع): محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ(الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ ه.

٢٠. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده- أبي الحسن علي بن إسماعيل(ت: ٤٥٨هـ) تحقيق : مصطفى السقا، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الاولى،

٢١. المزهر في علم اللغة وأنوعها ، عبد الرحمن بن ابي بكر ، جلال الدين السيوطي (ت ،٩١١)، تحقيق فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٩٩٨م .

٢٢. المعجم الكبير، للطبراني- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢٣. مفتاح العلوم ، ابي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، تحقيق د عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية . بيروت،.

٢٤. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

٢٥. النكت في إعجاز القرآن، للرماني- علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبي الحسن المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ) تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢٦. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف للدكتور حسن محمد باجودة .. البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الاندلسي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى سنة ٢٠٠١م.